دَلَالَةُ التَّحَوّلِ
فِي الْمُفْرَدَةِ الْقُرْآنِيَّةِ

د. أسعد جواد كاظم المعموري

جامعة الكوفة- كلية التربية المختلطة

asadj.alzubaidy@uokufa.edu

Meaning of transformation In the Qur'anic vocabulary

Dr. Assad Jawad Kazem Al-Mamouri

University of Kufa - College of Mixed Education

الملخص

يركز البحث على دلالة التحوّل في المفردة القرآنية، وقد انصبّ في بيان دلالة تحوّل الاسم في السياق القرآني، ودلالة تحوّل الأفعال في السياق القرآني، ودلالة تحوّل الحرف في السياق القرآني، وقد اخترت من الأسماء اسم الفاعل واسم المفعول أنموذجًا، أمّا الأفعال فقد تطرقت إلى الفعل الماضي والمضارع وصيغة الأمر، كان نصيب الحرف خاصًّا بحروف العطف.

الكلمات المفتاحية: الدلالة، التحوّل، المفردة القرآنية

summary

The research focuses on the significance of the conversion in the Qur'anic term and it is concentrated on explanation of the significance of the metamorphosis of the noun verb and letter in the Qur'an context and I chose from the nouns the subject›s noun and the object›s noun as a model for the verbs they dealt with the past tense the present tense and the imperative form the letter they dealt with the conjunct

key words: Denotation metamorphosis Quranic vocabulary

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير خلقه من الأولين والآخرين محمد الأمين وآله الطيبين الطاهرين.

أمّا بعد

فإن للتحوّل في السياق القرآني أثرًا كبيرًا في استحصال المعاني العميقة وتكثيرها، وهذه المعاني لا تدرك إلّا بتأمّل وتدبّر، وهذا التحوّل يُحدِث مفارقة في المعنى، ذلك بأن القارئ يظهر له المعنى الظاهر للمفردة القرآنية، على حين أن من ينعم النظر والتدقيق يجد المعنى الباطن أو العميق للمفردة القرآنية.

ارتأيت أن أقسم البحث على ثلاثة مطالب يتقدمها تمهيد بعنوان (التحوّل لغة واصطلاحًا) وتتلوها خاتمة تبيّن أهم النتائج، وكان تقسيم المطالب على النحو الآتي:

المطلب الأول: اختص بدلالة مفارقة تحوّل الأسماء، وبيّنت فيه تحوّل اسم الفاعل واسم المفعول.

المطلب الثاني: تضمّن دلالة مفارقة تحوّل الأفعال، كالفعل الماضي والمضارع وصيغة الأمر.

المطلب الثالث: تحدّث عن دلالة مفارقة تحوّل الحروف، واقتصرت فيه على حروف العطف.

التحوّل لغةً واصطلاحًا

التحول لغة:

تعددت معاني مفردة التحوّل في معجمات اللغة إلّا أنه يمكن جمع كل تلك المعاني في اصطلاح واحد أو مفهوم جامع واحد تقترب منه جميع معاني التحوّل وسيتضح ذلك فيما بعد. يقول ابن فارس في مقاييسه: (الحاء والواو واللام أصل واحد وهو تحرك في دور فالحول العام وذلك أنه يحوّل أي: يدور ويقال حالت الدار وأحالت وأحولّت: أتى عليها الحول وأحولت انا بالمكان وأحلت أي: أقمت بها حولًا. يقال حال الرجل في متن فرسه يحول حولًا وحؤولًا إذا وثب عليه وأحال أيضا. وحال الشخص يحول إذا تحرك وكذلك كل متحوّل عن حالة. ومنه قولهم استحلت الشخص أي: نظرت هل يتحرك)[1].

وقول ابن فارس: وحال الشخص يحول إذا تحرك، وقوله استحلت الشخص أي: نظرته هل يتحرك. يدل على أنّ معنى الحول أو التحوّل هو الحركة، والحركة عكس السكون فالسكون يلزم منه بقاء الشيء على حاله، أما الحركة فيلزم منها تغير الشيء من حالة إلى أخرى. فالتحوّل هنا يأتي بمعنى التغير وهذا ما أشار إليه الرّاغب الأصفهاني في مفرداته إذ يقول: (أصل الحول تغيّر الشيء وانفصاله عن غيره وباعتبار التغيّر قبل حال الشيء يحول حؤولًا... وحولت الشيء فتحوّل غيّرته أما بالذات وأما بالحكم

(١) مقاييس اللغة: حول ٢/ ١٢١.

والقول ومنه أحلت على فلان بالدين، وقولك حوّلت الكتاب هو أن تنقل صورة ما فيه إلى غيره من غير إزالة الصورة الأولى)[١].

ويأتي التحوّل بمعنى الحول كما في قوله تعالى: ﴿لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾[٢] أي: لا يبغون عنها تحوّلًا. وقد يراد منه معنى التنقل[٣]، وقد يراد منه أيضا معنى الانقلاب مثل انقلاب حقيقة الشيء إلى آخر كتحوّل عين المادة وانقلابها من ماهية إلى ماهية أخرى كانقلاب الخمر إلى خل وانقلاب العذرة إلى رماد[٤].

وقيل التحوّل هو تبدّل الشيء بشيء آخر غيره[٥]، وعلى الرغم من ما تقدم سلفًا من معاني التحوّل واختلاف مفرداته فإن ثمّة عنوانًا جامعًا لكل تلكم المعاني وهو التغيّر فالتحوّل هو التغيّر.

التحوّل اصطلاحًا:

عُرّف التحوّل اصطلاحًا على أنه: (علاقة بين موضوعين أو أكثر يشتمل على الجمل والمقاطع والخطابات والأنظمة)[٦]، والتحوّل في التصريف يأتي في تحوّل الفاعل إلى الفعل كقولنا: استحجر الطين أي: تحوّل إلى حجر وصار حجرًا[٧].

والتحوّل كما يجري في الأشياء يجري في اللغة العربية، فهناك التحوّل في الأسلوب نفسه كما هي الحال في أسلوب الالتفات إذ يجري التحوّل في داخل النص فبينما المتكلم يتكلم مع المخاطب وإذا به يحوّل الخطاب إلى الغائب كقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِي

(١) المفردات في غريب القران، حول: ٢٦٦.
(٢) سورة الكهف: ١٠٨.
(٣) ينظر: تاج اللغة وصحاح العربية، نقل: ٥/ ١٨٣٥.
(٤) ينظر: كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم: ١/ ٩٣٩.
(٥) ينظر: تكملة المعاجم العربية: ١/ ٢٥٦
(٦) معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، د. سعيد علوش: ٧٩.
(٧) ينظر: دستور العلماء – جامع العلوم في اصطلاحات الفنون: باب (التاء والحاء): ١/ ١٨٩.

ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ ﴾[1]، أو يتحول من الكلام مع الذكر إلى الأنثى كما في قوله تعالى: ﴿ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّۖ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ۝٢٨ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَاۚ وَٱسْتَغْفِرِى لِذَنۢبِكِۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَٰطِـِٔينَ ﴾[2]، كذلك يحصل التحوّل في الكلمة الواحدة نفسها كما في قوله تعالى: ﴿ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴾[3] أي: مرضية بصيغة اسم مفعول بعد أن استعملها في النص بصيغة اسم فاعل، وقد يجري التحوّل في النص بعد أن يجري الحديث بكلمات جميعها تتناسب مع بعضها وفجأة ينكسر التناسب بكلمة مغايرة لما سبقها كما في قوله تعالى: ﴿ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴾[4] فقد بدأ بالفعل المضارع ثم تحوّل منه إلى الماضي.

وهذا التحوّل في نفسه يعطي معاني متعددة وجميلة ويولّد مفارقات لغوية ونكات أدبية؛ لأن التحوّل يكسر جمود النص ويحوّله من السكون إلى الحركة ومن القبيح إلى الحسن، يقول ابن الأثير: (أما اختلاف صيغ الألفاظ فإنها إذا نقلت من هيئة إلى هيئة كنقلها مثلا من الأوزان إلى وزن آخر، وأن كانت اللفظة واحدة، أو كنقلها من صيغة الاسم إلى صيغة الفعل، أو من الفعل إلى صيغة الاسم، أو كنقلها من الماضي إلى المستقبل، أو من المستقبل إلى الماضي، أو من الواحد إلى التثنية أو إلى الجمع أو إلى النسب أو إلى غير ذلك انتقل قبحها فصار حسنًا، وحسنها صار قبيحًا)[5]، وفي هذا البحث سلّطتُ الضوء على بعض النصوص القرآنية التي تحوّلت مفرداتها من صيغة إلى أخرى أو تحوّل السياق فيها من لفظة إلى أخرى أو من زمن إلى آخر أو من حرف إلى آخر مع تبيان الثمرة المتوخاة من التحوّل.

(١) سورة يونس: ٢٢.
(٢) سورة يوسف: ٢٩.
(٣) سورة الحاقة: ٢١.
(٤) سورة الأعراف: ١٧٠.
(٥) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: ١/ ٢٩٣-٢٩٤.

المطلب الأول: دلالة مفارقة تحوّل الاسم في السياق القرآني (بين اسم الفاعل واسم المفعول أنموذجًا)

قسّم النحويون الكلم على ثلاثة أقسام: اسم، وفعل، وحرف. فما دلّ على معنى في نفسه مجرداً من الزمن فهو اسم، وعلاماته الجر والتنوين والنداء وأل، وما دلّ على معنى في نفسه مقروناً بزمن فهو فعل وعلاماته السين وسوف وقد والجزم، وما لم يدلّ على معنى في نفسه بل في غيره فهو حرف وليس له علامة خاصة به[١].

وينقسم الاسم على تقسيمات منها إلى معرب ومبني ومنها إلى مشتق وجامد، والاسم المشتق هو كـ(اسم الفاعل واسم المفعول)[٢]، وهما اسم الصفة أي ما دلّ على صفة شيء من الأعين أو المعاني وهو موضوع يحمل على ما يوصف به[٣].

واسم الفاعل اسم مشتق دلّ على معنى مجرد حادث وعلى فاعله مثل كلمة (زاهد) أو (عادل) يصاغ من مصدره الماضي الثلاثي على وزن (فاعل)[٤].

أما اسم المفعول فهو اسم مشتق أيضًا يدل على معنى مجرد وعلى الذي وقع عليه هذا المعنى ويصاغ من مصدر الماضي غير الثلاثي بالإتيان بمضارعه وقلب أوله ميمًا مضمومة

(١) ينظر: الكتاب، سيبويه: ١/ ١٢، وشرح المفصل، ابن يعيش: ١/ ٧٠، وتوضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك: بدر الدين المرادي: ١/ ٢٧١، وأوضح المسالك: ١/ ٣٤، وشرح ابن عقيل: ١/ ١٥.

(٢) ينظر: نحو مير، مبادئ قواعد اللغة العربية، سيد مير الجرجاني: ٤٢.

(٣) ينظر: جامع الدروس العربية: ١/ ٩٨.

(٤) ينظر: النحو الوافي: ٣/ ٢٣٨-٢٤٠.

مع فتح ما قبل الآخر[١] وقد يتحوّل اسم الفاعل عن صيغته هذه إلى صيغ أُخر تشمل اسم المفعول وكذا في اسم المفعول، ولكثرة التحوّل بين صيغتي الاسمين سنورد هنا أمثلة خاصة بتحوّل اسم الفاعل إلى اسم المفعول وتحوّل اسم المفعول إلى اسم الفاعل، وقد وقع الاختيار على صيغ هذين الاسمين لكثرة ورودهما في النصوص القرآنية.

الصورة الأولى: دلالة تحوّل اسم المفعول إلى اسم الفاعل

ترد صيغة اسم المفعول ويراد بها اسم الفاعل نحو قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴾[٢].

الخطاب موجه للنبي محمد صلّى الله عليه وآله، أي: إنّك يا رسول الله إذا قرأت القرآن على المشركين الذين لا يصدقون بالآخرة جعل الله بينك وبينهم حجاباً يحجب قلوبهم عن الفهم والإدراك وهذا الحجاب مستور، أي: ساتر[٣] وقد يراد بالآية غير هذا المعنى إذ الآية فيها أكثر من دلالة فقد يراد منها معنى آخر وهو أنك يا رسول الله إذا قرأت القرآن لا تخف من المشركين؛ لأن الله تعالى سيجعل لك ستراً يحميك من أذاهم وظلمهم[٤].

فمستور هنا بمعنى ساتر كما في قوله تعالى: ﴿ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴾[٥] فجاء السياق القرآني بصيغة اسم المفعول ليعبّر بها عن اسم الفاعل؛ (لأن الفاعل قد يكون في لفظ المفعول كما نقول (وإنك مشؤوم علينا) و(ميمون) وإنما هو شائم ويامن؛ لأنه من (شأمهم ويمنهم))[٦].

(١) ينظر: المصدر نفسه: ٣/ ٢٧١-٢٧٢.
(٢) سورة الإسراء: ٤٥.
(٣) ينظر: جامع البيان، الطبري: ١٧/ ٤٥٧.
(٤) ينظر: معاني القرآن وإعرابه: الزجاج: ٣/ ٢٤٣.
(٥) سورة الإسراء: ١٠١.
(٦) معاني القرآن: الأخفش: ٢/ ٤٢٥.

وقد يراد بمستور(ذو الشيء) فحجاب مستور في تأويل حجاب ذي ستر[١] وربما قيل ببقاء (مستور) على أصلها، أي اسم مفعول ولا يراد بها اسم الفاعل فـ(حجابًا مستوراً) يعني عن أعين الكفار أو هو حجاب دونه حجاب فهو مستور بغيره[٢]، وكل هذه الدلالات وغيرها إنما قيلت بسبب التحوّل من صيغة إلى أخرى الأمر الذي أحدث مفارقة في السياق هذه المفارقة كثّرت من المعاني العميقة التي لا تدرك إلّا بتأمّل وتدبّر وجعلتها جنب المعاني الظاهرية؛ لذا تحرك النص لإيجاد الدلالات.

ومجيء (مستور) بمعنى (ساتر) وتحول السياق من اسم الفاعل إلى اسم المفعول قد وسّع في الدلالة فلو قال: حجابًا ساترًا، فالمعنى واضح لا يحتاج إلى تدبّر أكثر ممّا في النص الآن؛ إذ المعنى أن هذا الحجاب وظيفته أن يسترك ويحجب عنك الكافرين فلا يفهم منه غير ذلك، لكنه لما أجرى تحويلاً في الصيغة كثرت دلالات النص فصار قوله (حجابًا) يراد به عدة معان زيادة على المعنى الظاهر فمن هذه الدلالات: إنّ هذا الحجاب هو كالغشاوة على اعين المشركين، فهو ساتر فلا يستطيعون أن يبصروك بسبب هذا الحجاب الساتر كما قال تعالى: ﴿ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا۟ ۖ وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾[٣] إذ بهذا الحجاب ستر الله أبصار المشركين فلا يبصرونك بعد[٤].

ومنها إنّه يكون ستراً على قلوبهم فلا يفقهون ما تقول كما قال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ ﴾[٥]،[٦].

ومنها إنّ هذا الحجاب قد لا يكون على قلوب المشركين ولا على أبصارهم وإنما هو حاجز بين النبي محمد صلى الله عليه وآله وبين المشركين كما قال تعالى: ﴿ جَعَلْنَا بَيْنَكَ

(١) ينظر: البحر المحيط: ٦/ ٣٩.
(٢) ينظر: الكشاف: ٢/ ٦٧٠.
(٣) سورة الأعراف: ١٩٨.
(٤) ينظر: جامع البيان: ١٧/ ٤٥٧.
(٥) سورة الإسراء: ٤٦.
(٦) ينظر: المصدر نفسه: ١٧/ ٤٥٧.

وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴾[1].

فمجي (مستور) بدل (ساتر) أدق وأبلغ فالحجاب يكون ساتراً فكيف جعله الحق مستورًا؟؛ وذلك لأنّه أراد أن يعطي وظيفتين للحجاب الأولى أن يكون ساتراً والأخرى أن يكون هو مستورا وذلك مبالغة في الستر.

الصورة الأخرى: دلالة تحوّل اسم الفاعل إلى دلالة اسم المفعول

قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ٱسْتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴾[2].

ومعنى ذلك أن الذين يخاصمون النبي محمدًا صلّى الله عليه وآله من اليهود وغيرهم وذلك من بعد ما استجاب الله له فأُولئك خصومتهم ومحاججتهم باطلة؛ لأنهم زعموا أن دينهم أفضل من دين محمد صلّى الله عليه وآله[3].

وفي قوله تعالى: ﴿ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ ﴾ نجد أن السياق القرآني قد تحوّل عن اسم المفعول إلى اسم الفاعل فقد يفهم من (داحضة) أنها زاهقة أي أزهقت حجة المقابل والمناظر في الاحتجاج فتحصل مفارقة في الدلالة إذ كيف يكون أعداء الله تعالى حجتهم قاهرة وهم على باطل في قولهم وفعلهم. فكان على السياق أن يعبر بـ(حجتهم مدحوضة) أي مرفوضة وغير مقبولة[4].

وقد دُفع هذا الإشكال ووُجّه بنقاط:

الأولى: إنّ داحضة مؤنث داحض وهو الذي لا ثبات له ولا عزيمة له في الأمور[5]

(١) سورة الإسراء: ٤٥.
(٢) سورة الشورى: ١٦.
(٣) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٣/ ٧٦٧.
(٤) ٢٢- ينظر: الموسوعة القرآنية خصائص السور: ٨/ ٧١.
(٥) ينظر: المعجم الوسيط: (دحض): ١/ ٢٧٣.

والسياق قد أتى بها على هذا المعنى فيكون معنى (حجتهم داحضة)، أي: التي لا ثبات لها ولا استقرار. وهذا المعنى قيل به في التفسير، أي :إنّها حجة باطلة وزائلة وزاهقة[١]. فتكون داحضة قد جاءت على المعنى الحقيقي من دون تحوّل.

الثانية: إنّ داحضة بمعنى مدحوضة قال أبو عبيدة (في قول الله عزّ وجل ﴿حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ﴾ بمعنى مدحوضة)[٢]، ومعنى هذا السياق قد حصل فيه تحوّل في الصيغ. وتحوّل صيغة اسم المفعول إلى اسم الفاعل يناسب مكان دحض الحجة فقد اختلف في تحديد مكان المجادلة ودحض الحجة هل هو في الدنيا أو في الآخرة[٣]، وبدلالة التحوّل يتحصّل جمع المكانين إذ إنّ اسم الفاعل كما أسلفنا سابقاً يدل على الحدث والتجدد. وبالإمكان أنه يراد من دلالة (داحضة) أنها في الدنيا وفي الآخرة فدلالة التحوّل وسّعت في فهم المعنى.

الثالثة: إنّ السياق القرآني إنما تحوّل من صيغة اسم المفعول إلى اسم الفاعل لتناسب المقام مع لفظة (حجتهم) فهي ليست بحجة وإنما هي شبهة إلاّ أنه تماشيًا مع اعتقادهم أطلق عليها (حجة)[٤]؛ لأن كل محاججة يحتجّ بها صاحبها على غيره تسمى حجة سواء باطلة كانت أم محقة[٥]. فمن غير المناسب أن يطلق السياق على كلامهم (حجة) ثم يقول إنّ حجتهم مدحوضة، فناسب (حجتهم) المجيء بلفظة (داحضة).

الرابعة: إنّما جاء السياق القرآني بصيغة اسم الفاعل (داحضة) لما في هذه الكلمة من دلالات تشعر الآخر بأن المتكلم ليس ربًا جبارًا منتقمًا وإنما هو ربّ رؤوف رحيم وهو كلام منصف إذ إنه تعالى أنصفهم من نفسه على لسان نبيه صلّى الله عليه وآله،

(١) ينظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن: ٨/ ٣٠٧.
(٢) مقاييس اللغة (دحض): ٢/ ٣٣٢، وكتاب الأفعال، ابن الحداد: ٣/ ٢٩١.
(٣) ينظر: تأويلات أهل السنة: ٩/ ١١٦.
(٤) ينظر: الموسوعة القرآنية خصائص السّور: ٨/ ٧١.
(٥) ينظر: البحر المديد: ٥/ ٢٠٥.

فتسمية جدالهم بالحجة الداحضة إنما هو من باب المجاراة لهم والشفقة عليهم إذ عسى أن يعاودوا النظر في أفكارهم ولعلهم يرعوون عن غيّهم ويثوبون إلى رشدهم.

ولعل قائلًا يقول إنّ ثمّة مفارقة مغايرة قد تحصل في المقام في قوله (داحضة) إذ قد تعطي هذه الكلمة دلالة أخرى لدلالة ما ذكر وهي دلالة القوة والتشجيع على بقائهم على الكفر والعناد؛ لأن حجتهم داحضة.

نقول: حينما يتحول السياق من سياق رحمة ولطف إلى سياق يعطي دلالة الاستدراج فيكون قوله تعالى: ﴿ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ ﴾ هو نوع من الاستدراج فهو تعالى يستدرج الذين طبع على قلوبهم بالكفر كما قال: ﴿ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[1].

الخامسة: إنّ داحضة بمعنى مدحوضة مثل راضية بمعنى مرضية فهي وإن كانت على صيغة اسم المفعول إلاّ أن السياق القرآني جاء بها محوّلة إلى اسم الفاعل إشعاراً منه بأن حجتهم وإن كانت داحضة إلّا أنها لا تخلو من (ضعف سندها، ووهاء عمادها، فكأنها هي المبطلة لنفسها، من غير مبطل أبطلها، لظهور أعلام الكذب فيها، وقيام شواهد التهافت عليها)[2].

فهذا التحوّل في السياق المفعم بالدلالات التي حصلت من مفارقات كلها دلّت على أن السياق إذا ما حصل فيه تحوّل فمعنى ذلك ولادة لدلالات جدد تمنح النص انسجامًا وتوسعة، وقد لاحظنا خلال التحليل أن ثمة مفارقات حصلت في المقام كمفارقة تحوّل الصيغ ومفارقة دلالة الكلمة ومفارقة دلالة الفهم للنص.

(١) سورة القلم: ٤٤.

(٢) الموسوعة القرآنية خصائص السور: ٨/ ٧٥.

المطلب الثاني: دلالة مفارقة تحوّل الأفعال في السياق القرآني

ينقسم الفعل على ثلاثة أقسام: ماضٍ، ومضارع، وأمر، وهذا التقسيم قائم على أساس المعنى وبعبارة أدق قائم على أساس وقوع الحدث في الزمن؛ فالماضي ما دلّ على حدث وقع في الزمن الماضي، والمضارع ما دلّ على زمن الحاضر أو المستقبل وهذا التردد في زمن المضارع يتحدد بقرينة، وأما الأمر فكان ضمن دلالة زمن المستقبل، يقول سيبويه: (وأما الفعل فأمثلة أخذت من لفظ أحداث الأسماء، وبنيت لما مضى، ولما يكون ولم يقع، وما هو كائن لم ينقطع)[1].

وفي هذا المطلب نتناول بعض صور التحوّل وندرسها دلاليًا لنستظهر ما يكشفه التحوّل لنا من دلالات متنوعة.

الصورة الأولى: دلالة مجيء الفعل المضارع بعد الفعل الماضي

في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ ٱلَّذِي جَعَلۡنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلۡعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلۡبَادِۚ وَمَن يُرِدۡ فِيهِ بِإِلۡحَادِۭ بِظُلۡمٖ نُّذِقۡهُ مِنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ﴾[2].

يكشف لنا النص القرآني عن عقيدة مجموعة من الناس فيصفهم بأنهم كفروا أي رفضوا الهدى ولزموا الكفر ويكشف في الوقت نفسه أيضاً عن العمل الذي يقوم به

(١) الكتاب: ١/ ١٢.

(٢) سورة الحج: ٢٥.

هؤلاء الكافرون وهو الصد والمنع عن سبيل الله والمسجد الحرام.

ونلحظ أنّ السياق القرآني في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ قد تحوّل من الماضي (كفروا) إلى المضارع (ويصدّون) أي: إنّه عطف الحال أو المستقبل على الماضي الأمر الذي أحدث مفارقة في الدلالة، إذ إنّ كل فعل يدل على حدث معين وزمن معين فتحصّذل لدينا دلالتان بسبب المفارقة في التحوّل في السياق القرآني.

ومعنى ذلك (أنّ الذين كفروا فيما تقدم ويصدّون عن سبيل الله في الحال أي: وهم يصدّون)[1] أي: إنّ كفرهم قد بدأ منهم في الزمن الماضي إلاّ أن قيامهم بفعل الصد حدث متأخراً عنهم؛ لذا غاير في الأسلوب فعطف المستقبل على الماضي.

وقد يكون في إشارة منه إلى أن الكفر والإيمان من المسائل العقائدية التي تحصل في القلب وهذه بطبيعة الحال تتقدم في الرتبة على العمل وهو الصد إذ الكفر يحصل منهم أولاً ولمرة واحدة أما الصد فهو يحصل بعد الكفر ويتجدد. والأمر نفسه في الإيمان كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ﴾[2].

وقيل إنما (عطف المستقبل على الماضي؛ لأن المراد من لفظ المستقبل الماضي كما قال تعالى في موضع آخر: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾[3]،[4]. وهذا مذهب سيبويه فعنده قد تقع (نفعل) في موضع (فعلنا) في بعض المواضع[5].

واستدلاله بالآية الكريمة ﴿وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ كما استعمله دليلاً على الموافقة، كذلك يمكن استعماله دليلاً على المخالفة. فكما قال إنّ (يصدّون) بمعنى

(١) معالم التنزيل في تفسير القرآن: ٣/ ٣٣٣.
(٢) سورة الرعد: ٢٨.
(٣) سورة النحل: ٨٨.
(٤) معالم التنزيل في تفسير القرآن: ٣/ ٣٣٣.
(٥) ينظر: الكتاب: ٣/ ٢٤.

(صدّوا) واستشهد بالآية كذلك يمكن الاستشهاد بالآية نفسها على أنه لو كان يريد من (ويصدّون) بمعنى (صدّوا) لاستعمله وقال (وصدّوا) من دون تكلف كما عطف بالماضي على الماضي هناك، يعطف هنا بالماضي على الماضي وينتهي الأمر.

لكنه لما عطف بالمستقبل على الماضي كان قد قصد من وراء ذلك جملة من الدلالات التي قد تحصل بوساطة العطف أو التحويل في السياق القرآني، منها على الأقل ما اشرنا إليه آنفاً.

ولو قيل إنّه أراد بـ(ويصدون) زمن الماضي؛ لاتحادهم بالحكم بسبب العطف كما أشار السيوطي إلى ذلك فيما تقدم لكان أوجه وأقنع من قولهم إنّ المراد بـ(ويصدون) (صدوا). وهذا الرأي أكثر مقبولية كما بيّنا في تحليل الآية المتقدمة على التي هي محل البحث، إذ في هذا القول تتعدد دلالات المضارع بما هو مضارع لا بما هو ماض كما ذكرنا آنفاً.

هذا كله إذا قلنا بأن الواو في (ويصدّون) هي للعطف وأما إذا كانت الواو واو الحال أي: كفروا والحال أنهم يصدون وهذا ما ذهب إليه أبو البقاء وغيره فتكون جملة (يصدّون) في محل نصب على الحال من فاعل كفروا وهو قول مرفوض؛ لأن (يصدّون) مضارع مثبت وما كان كذلك لا تدخل عليه واو الحال[1]. أو كانت الواو زائدة فلا يرد أسلوب التحوّل هنا؛ لأن السياق القرآني قد تغيّر نسقه بتغير حرف العطف الواو إلى واو الحال أو إلى واو زائدة.

وعلى كلّ فقد تعددت آراء العلماء في القول الفصل في هذه الآية وممكن أن نجملها بالآتي[2]:

الأول: إنّ الفعل المضارع (يصدّون) خبر لمبتدأ محذوف والتقدير أنّ الذين كفروا

(١) ينظر: إعراب القرآن وبيانه، محي الدين درويش: ٦/ ٤١٩.

(٢) ينظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: ٤/ ٢٩٢.

وهم يصدّون فالجملة المعطوفة اسمية لا فعلية وهذا قول استحسنه القرطبي.

الثاني: إنّ الفعل المضارع (يصدّون) أُريد به الماضي أي: كفروا وصدّوا.

الثالث: إنّ الواو زائدة وجملة (يصدّون) خبر (أنّ) أي: إنّ الذي كفروا يصدّون.

الرابع: وهو إنّ الواو للحال.

وهناك رأي آخر لم يسلط الضوء فيه على (يصدّون) وإنما سُلط الضوء في هذه المرة على ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ فقيل: إنّ معناه (إن الذين يكفرون) كما في قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبۡلِ أَن تَقۡدِرُواْ عَلَيۡهِمۡۖ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾[1] ومعناه (يتوبون) والحجة في هذا أن الاسم الموصول (الذين) غير موقّت فيكون بعطفه (ويصدّون) قد عطف مضارعًا على مضارع[2].

وكل هذه الاحتمالات المتكثرة والمتعددة تفتح آفاقًا جديدة للدلالات إذ إنّ كل احتمال تستتبعه دلالة أو دلالات ولكن كل الاحتمالات لا يتحقق فيها تحوّل الأسلوب إلّا إذا كانت الواو عاطفة وبقي الفعل المضارع على مضارعيته، حينها يمكن القول إنّ السياق القرآني كسر التوقع بالعطف المغاير؛ لذا حصل تحوّل في السياق انتج لنا مفارقة تمنح النص دلالات أكثر مما يمنحها غير ذلك من الاحتمالات.

ومجيء (كفروا) بالماضي و(يصدّون) بالمضارع فيه حكمة بالغة وهي (أن الكفر لما كان من شأنه إذا حصل أن يستمر حكمه عبّر عنه بالماضي ليفيد ذلك مع كونه نافيًا أنه قد مضى عليه زمان ولا كذلك الصدّ عن سبيل الله فإن حكمه إنما ثبت حال حصوله مع أنّ في الفعل المستقبل إشعارًا بالتكثير فيشعر قوله (ويصدّون) أنه في كل وقت بصدد ذلك ولو قال وصدوا لأشعر بانقطاع صدّهم)[3].

(١) سورة المائدة: ٣٤.

(٢) ينظر: التفسير البسيط: ٦/ ١٠٥.

(٣) البرهان في علوم القرآن: ٣/ ٣٣٦-٣٣٧.

الصورة الثانية: دلالة مجيء الفعل الماضي بعد الفعل المضارع

قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾[1].

في السياق القرآني جملة من المفارقات التي منحت النص جملة من الدلالات فهو حينما عطف الماضي (جئنا) على المضارع (نبعث) منح النص دلالة التضاد في الزمن وذلك بحسب الدلالة الصرفية ومنحه دلالة الحصول والوقوع الأكيد بحسب الدلالة النحوية.

ثم إنّه من باب التسلية للنبي وتبيان مقامه الرفيع حتى على بقية الأنبياء خالف بين الفعلين دلالةً وزمانًا ففي الزمن واضح ذلك، أما في الدلالة فهما يختلفان. فالفعل (بعث) لا يعطي دلالة (جاء) إذ إنّ الفعل (بعث) لا يدل إلّا على الإرسال والإشارة دون الوصول، بينما الفعل (جاء) يدل على ما دلّ عليه الفعل (بعث) مع دلالة زائدة وهي دلالة الوصول[2].

وجملة ﴿ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا ﴾ فيها وجهان للعطف كل وجه يعطي دلالة معينة إذ يحتمل أن تكون هذه الجملة معطوفة على مجموع جملة (يوم نبعث)؛ لأن المقصود وجئنا بك شهيدًا من وقت إرسالك ويجوز أن تعطف على جملة (نبعث في كل أمة شهيداً) حينها تدخل الجملة في حيز الظرف ويكون الفعل (جئنا) مستعملًا في معنى الاستقبال استعمالًا مجازيًا؛ لأنه متحقق الوقوع والحصول فتكون فائدة تغيير الفعل عن المضارع إلى الماضي هي تهيئةٌ للعطف[3].

ثم إنّ تجريد الفعل من الفاعل الظاهر في قوله (نبعث) ومجيء الفاعل ظاهراً وكذا مجيئه بضمير الجمع (نا) زاد في قوة المفارقة في دلالة التعظيم وعلوّ المقام للنبي صلّى الله

(١) سورة النحل: ٨٩.

(٢) ينظر: البرهان في علوم القرآن: ١٧٩.

(٣) ينظر: التحرير والتنوير: ١٤/ ٢٥١.

عليه وآله وتمييزه من غيره بهذا المقام، فالفعل (نبعث) لا يعطي دلالة على أنّ الباعث والمبعوث حضرا معًا بل يعطي دلالة الإرسال من قبل المرسل مع بقاء المرسل في مكانه. أما الفعل (جئنا) فيعطي دلالة واضحة على أنّ الرسول والمرسل حضرا معاً وبعبارة أخرى إشارة منه إلى منزلة ورفعة من جئنا به[1].

من هنا يتضح أنّ حصول أي تحويل في نسق السياق ولاسيما السياق القرآني فإن ذلك يدل على حصول دلالة أو دلالات ناتجة من أثر ذلك التحويل وإذا كان التحويل فيه تباين أوتضاد بمعنى أنّ السياق القرآني لا يأتي بالنص على نسق واحد بل يحصل فيه مفاجأة أو كسر للمتوقع فحينها تتولّد من ذلك الاختلاف مفارقة أو مجموعة مفارقات تفتح أبواباً من الدلالات المختلفة؛ لأن النص غالباً ما يكون ولوداً ومفعماً بالدلالات فكيف إذا كان ذلك النص هو السياق القرآني المتقن الصياغة المسبوك العبارة فإذا لمحنا أي تحوّل بالنص فسوف يكون دلالة على تنوع الدلالة.

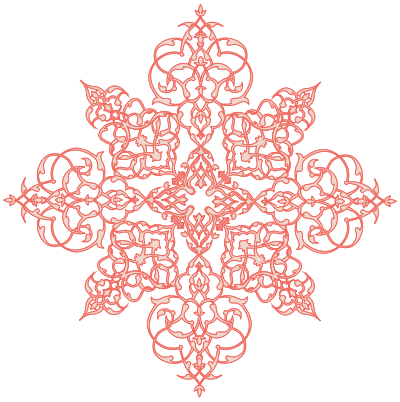

(١) ينظر: التفسير البياني لما في سورة النحل من معاني: ١/ ١٧٩.

المطلب الثالث: دلالة مفارقة تحوّل الحرف في السياق القرآني (حروف العطف أنموذجًا)

الحرف هو قسم من أقسام الكلم يأتي بعد الاسم والفعل وهو ما لا يدل على معنى في نفسه وينقسم على قسمين حرف مبنى وحرف معنى. وحرف المعنى له معنى ولكنه لا يظهر إلّا إذا انتظم في جملة كحروف الجر والاستفهام والعطف وغيرها[١].

أما حرف المبنى فهو ما تركّب منه الكلم ولا يقال فيه معرب أو مبني؛ لأن ذلك إنما يقال في المؤلّف، وحروف المباني يُؤتى بها للدلالة على الصوت[٢].

وتنقسم حروف المعاني على قسمين: عامل وعاطل، والعامل هو الذي يحدث إعراباً في آخر الكلمات كحروف الجر والنصب وغيرها. والعاطل هو الذي لا يحدث إعراباً كـ هل وهلّا ونعم وغيرها[٣].

وسبب تسميتها بحروف المعاني أنها وضعت لمعاني تتميز بها من حروف المباني.

وفائدة حروف المعاني هي نيابتها عن الجمل فتفيد معنى الإيجاز والاختصار فحروف العطف جيء بها عوضاً عن (أعطف) وحروف النفي جيء بها عوضاً عن (أنفي) وهكذا في البقية[٤].

ولكل حرف من حروف المعاني معنى خاص به، وهو أولى به من غيره ولا يجوز

(١) ينظر: شرح المفصل: ٤/ ٤٤٩.
(٢) ينظر: حاشية الشهاب: ١/ ٣٩.
(٣) ينظر: جامع الدروس العربية: ٣/ ٢٥٣-٢٥٤.
(٤) ينظر: شرح المفصل: ٤/ ٤٥٣.

تحويل ذلك عنه إلى غيره إلّا لضرورة يقتضيها السياق، وهذا ما ذهب إليه الطبري في تفسيره[1].

فالتحويل من حرف إلى آخر بحسب ما يتطلبه السياق من الممكنات، والسياق القرآني فيه الكثير من مثل هذه التحولات التي بالإمكان أن نقسمها على قسمين:

الأول: التحويل في حروف المعاني في السياق القرآني في آيتين ليستا في سياق واحد، كما في الآيتين من قوله تعالى: ﴿ وَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾[2] ومن قوله تعالى: ﴿ وَيَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ ﴾[3].

إذ نلحظ أن السياق القرآني ذكر في الآية الأولى ﴿ وَكُلَا مِنْهَا ﴾ بالواو ثم تحوّل في سياق الآية الأخرى إلى الفاء فقال: ﴿ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا ﴾، ومثل ذلك كثير كما في قوله تعالى: ﴿ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُوا۟ ﴾[4]، وقوله تعالى: ﴿ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ ﴾[5].

الآخر: التحوّل في حروف المعاني في السياق القرآني في أكثر من آية، ولكنّه في نسق وسياق واحد متصل وهذا ما سنبحثه في هذا المطلب ولا نشطط كثيراً وسنقصر البحث على حروف العطف وهذا من باب المثال لا الحصر. فحروف العطف مع أنّ لها دلالات مختلفة يرسمها السياق لكنّها تعمل رابطة تربط الجمل أو الكلمات في نسق وسياق واحد متصل وتجعله كعقد منظوم بطريقة فنية ابداعية وهذا ما سنلحظه في التطبيقات الآتية:

قال تعالى: ﴿ وَٱلنَّـٰزِعَـٰتِ غَرْقًا ۝١ وَٱلنَّـٰشِطَـٰتِ نَشْطًا ۝٢ وَٱلسَّـٰبِحَـٰتِ سَبْحًا ۝٣

(١) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ١/ ٣٠٩.
(٢) سورة البقرة: ٣٥.
(٣) سورة الأعراف: ١٩.
(٤) سورة الأنعام: ١١.
(٥) سورة العنكبوت: ٢٠.

فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبۡقٗا ۝٤ فَٱلۡمُدَبِّرَٰتِ أَمۡرٗا ﴾[١].

النازعات، والناشطات، والسابحات، والسابقات، والمدبّرات كلها أوصاف تطلق على الملائكة تدل على وظيفتها؛ فكل نوع من الملائكة مختص بعمل معين[٢].

فالنازعات يعني الملائكة الذين ينزعون أرواح الناس، والناشطات هم الملائكة التي تنشط الروح والنشط يعني الجذب، والسابحات ملائكة خاصة تقبض أرواح المؤمنين، والسابقات ملائكة سبقوا ابن آدم بالعمل الصالح والخير والتقوى[٣]. فهو تعالى (أقسم بالملائكة الموصوفة بصفات تدل على كمال قدرته ونفاذ أمره)[٤].

والواو في قوله (والنازعات) جاءت للقسم ولا يوجد جواب للقسم فقد حذف الجواب لبعث النفس على التفكير لتهتدي إلى الجواب فتظل تتلو بالآيات لتستوحي منها الجواب الذي لابدّ أن يكون شيئًا عظيمًا[٥]. أما بقية ما ذكر عن الواو في قوله (والناشطات، والسابحات) فهي للعطف إلّا أنّه لما عطف بالواو الثانية والفاء جعل الكل يدخل في حكم القسم. وقد تكون الواوات الأخرى للقسم أيضاً إلاّ أنّ المرجّح فيها أن تكون للعطف بقرينة تبديلها بالفاء، والفاء لا تأتي للقسم وإنما تأتي للعطف[٦].

والآية ضمت عطفين وهما: عطف متشابه وعطف متغاير.

فأما العطف المتشابه ففي قوله ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرۡقٗا ۝١ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشۡطٗا ۝٢ وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبۡحٗا﴾ فقد عطف الجميع بالواو، والواو تفيد مطلق الجمع فإذا قلت: (حضر محمد وخليل) فالجمع يقتضي ثلاثة احتمالات فإما أنهما حضرا معاً، وإما أنّ

(١) سورة النازعات: ١-٥.

(٢) ينظر: تأويلات أهل السنه: ١٠/ ٤٠٣.

(٣) التفسير الوسيط: ٤/ ٤١٨.

(٤) غاية الأماني في تفسير الكلام الرباني، شهاب الدين الشافعي: ١/ ٣٢١.

(٥) ينظر: من بلاغة القرآن: ١٠٠.

(٦) ينظر: منة المنان: ٥/ ٢٣٧.

محمداً حضر قبل خليل، وإما أنّ خليلاً حضر قبل محمد[1] يقول سيبويه: (وليس في هذا دليل على أنه بدأ بشيء قبل شيء ولا بشيء مع شيء؛ لأنه لا يجوز أن تقول: (مررت بزيد وعمرو)، والمبدوء به في المرور عمرو، ويجوز أن يكون زيداً، ويجوز أن يكون المرور وقع عليهما في حالة واحدة، فالواو يجمع هذه الأشياء)[2].

وعطف آخر متشابه وهو في قوله تعالى ﴿ فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبۡقٗا ۝٤ فَٱلۡمُدَبِّرَٰتِ أَمۡرٗا ﴾ فقد عطف هنا المدبرات على السابقات بالفاء، والفاء تفيد أنّ المعطوف بها يكون لاحقاً لما قبلها؛ لأنها لا تفيد الجمع في العطف وإنما تأتي لإفادة الترتيب والتعقيب[3].

والعطف الآخر هو العطف المغاير وذلك عندما عطف ﴿ فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبۡقٗا ﴾ على ﴿ وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبۡحٗا ﴾ فالسياق القرآني افتتح الآيات بالعطف بالواو ثم تحول مباشرة فغاير بالعطف فعطف بالفاء ولو سار السياق القرآني على ترتيب واحد في العطف ولم يكن هناك أي تحول فانك لا تجد مفارقة في السياق، فالسياق يكشف عن نص واحد متصل فلا مفارقة في النص ولكن لما حصل التغاير والتحويل بالعطف في سياق ونسق واحد متصل صار مدعاة للتساؤل والتفتيش عن الدلالات والغايات التي من أجلها تحول السياق القرآني في العطف من الواو إلى الفاء.

يقول القرطبي عن سبب هذا التغاير في العطف إنّه تعالى (ذكر فالسابقات بالفاء؛ لأنها مشتقة من التي قبلها أي: واللاتي يسبّحن فيسبقن، تقول: قام فذهب فهذا يوجب أن يكون القيام سبباً للذهاب ولو قلت قام وذهب لم يكن القيام سبباً للذهاب)[4].

فالقرطبي يجعل السبح للسابحات علة وسبباً للتسابق فهم يتسابقون أي أن

(١) ينظر: معاني النحو: ٣/ ١٨٧.

(٢) الكتاب: ١/ ٤٣٨.

(٣) ينظر: معاني النحو: ٣/ ٢٠١.

(٤) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي: ١٩/ ١٩٤.

المتسابقين هم السابحون كما أشار إلى ذلك أحد الباحثين[1].

إلّا إنّنا يمكن أن نضيف رأيًا آخرًا ليكون موجهًا لدلالة التحول الحاصلة من العطف، وهذا التوجيه الدلالي يعطي دلالة جديدة للسابقات وأخرى للفاء، فبما أن السابقات من السبق والتسابق كما قال تعالى ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ﴾[2] أو قوله تعالى ﴿إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ﴾[3] أو قوله تعالى: ﴿فَٱسْتَبِقُواْ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ فهذا يعني أن الملائكة الموصوفة بوصف السابقات هي بحاجة إلى السرعة في التسابق والفوز، من هنا كان على السياق القرآني أن يتحوّل بالعطف من الواو إلى الفاء؛ لأنّ الواو لا تفيد معنى الإتيان بشيء على السرعة، وأما الفاء فقد جاء بها هنا؛ لأنها تفيد الفورية لذا عطف بها؛ لأنها تدل على الفورية وسرعة المبادرة.

ورب توجيه آخر تتحمله دلالة التحول وهو أنّه لما عطف بالواو كان يقصد طائفة معينة من الملائكة تختص بعمل واحد وهو قبض الأرواح ونزعها من الجسد ولما غاير بالعطف بالفاء حوّل جهة الحديث نحو طائفة أخرى من الملائكة تقوم بعمل مغاير لما تقوم به الطائفة الأولى وهذا واضح في ما بيّناه أول البحث من وظائف الملائكة. ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا ۝١ فَٱلْعَٰصِفَٰتِ عَصْفًا ۝٢ وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشْرًا ۝٣ فَٱلْفَٰرِقَٰتِ فَرْقًا ۝٤ فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا﴾[4]. فنلحظ التحوّل في العطف بين آية وأخرى وكل ذلك التحوّل يمنح السياق دلالات متفرقة ومتنوعة ومتعددة كما أشرنا يقول الزمخشري عن هذه الآيات: (أقسم سبحانه بطوائف من الملائكة أرسلهن بأوامره فعصفن في مضيهن كما تعصف الرياح تخففاً في امتثال أمره، وبطوائف منهم نشرن أجنحتهن في الجو عند انحطاطهن بالوحي، أو نشرن الشرائع في الأرض، أو نشرن

(١) ينظر: تفسير جزء عم: مساعد الطيار: ١/ ٣٧.

(٢) سورة الواقعة: ١٠.

(٣) سورة يوسف: ١٧.

(٤) سورة المرسلات: ١-٥.

النفوس الموتى بالكفر والجهل بما أوحين، ففرقن بين الحق والباطل فألقين ذكراً على الأنبياء)[1]، وزاد الآلوسي إفصاحًا في هذا التحوّل فقال: (وعطف الناشرات على ما قبل «الواو» لتنزيل تغاير الصفات منزلة تغاير الذات)[2] أي: إنّه عطف الذوات على الذوات وعطف الصفات على الصفات.

وتوجيه آخر في دلالة التحول بالعطف عن الواو إلى الفاء بعد ملاحظة أمرين:

الأول: إنّه تعالى لما ذكر النازعات والناشطات والسابحات كان المراد منه تبيان عمل هذا الصنف من الملائكة.

الآخر: قلنا إنّ الفاء تفيد التعقيب والترتيب.

وبعد جمع الأمرين معًا يكون التوجيه مفاده أنّه تعالى بيّن عمل الملائكة وتنوعه وذلك بالواو ولما عطف بالفاء بعد بيان المرتبة الأولى وهي أعمالهم أراد من الملائكة أن يتسابقوا إلى هذه الأعمال فعقب ذلك بالفاء. فكأنّه تعالى خاطبهم بالرتبة الأولى أنّ هناك أعمالًا وهي كذا ثم قال لهم بعد ذلك تسابقوا عليها فكان العطف بالفاء مناسبًا جدًا من العطف بالواو ولو عطف بالواو بدل الفاء لم يكن السياق القرآني محتملًا إلّا لدلالة واحدة ولكنه لما تحوّل في العطف حصلت مفارقات فتنوعت في السياق الدلالات.

ومن التحوّل في العطف التحوّل عن (الواو) إلى (ثمّ) في قوله تعالى: ﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ﴾[3].

في هذه الآية نعمة من نعم الله تعالى على بني إسرائيل إذ أنجاهم من فرعون وقساوته فأهلكه بالبحر وأنجاهم في البحر حتى كانت آية البحر هلاكًا لقوم وإنجاءً لآخرين[4].

(١) الكشاف: ٤/ ٦٧٧.

(٢) روح المعاني: ١٥/ ١٨٨.

(٣) سورة الشعراء: ٦٣-٦٦.

(٤) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٥/ ٣٠٤.

وثمّة تحوّل واضح في العطف يبرزه السياق القرآني في هذه الآية، وهو في قوله: (وأزلفنا... وأنجينا... ثم أغرقنا) فتحوّل عن العطف بالواو المتكرر فجأة إلى العطف بـ(ثم) وإذا كانت (الفاء) تفيد العطف بترتيب فوري فإن (ثم) تفيد العطف بترتيب تراخ أي عطف فيه مهلة من الوقت[1] كما في قوله تعالى: ﴿ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴾[2]. فالخلق من تراب ثم من نطفة ثم يصير رجلاً هو مرتب حسب الأولوية ولكن بين كل مرحلة وأخرى مهلة معينة من الزمن؛ لذا عطف بـ(ثم).

فـ(ثم) تفيد الترتيب كالفاء مع مهلة وتراخ وإنما زيد فيها ذلك؛لأنها أكثر من الواو حروفاً[3] وهذا على قاعدة الزيادة في المباني تؤدي إلى الزيادة في المعاني وهي قاعدة غير مطردة.

وسبب التحوّل في العطف عن (الواو) إلى (ثم) هو أنّ ما عطف بالواو كانت مراحل لا تحتاج إلى مهلة بل إنّ الواو في (وأزلفنا) و(وأنجينا) تشعر أنّها عملية واحدة؛ لأنّ (الواو) كما تقدم أنها تفيد الجمع فالله تعالى جمع هؤلاء، وأنجى موسى في وقت واحد. وأما مسألة إغراق فرعون فاحتاجت إلى مهلة من الوقت فجاء العطف بـ(ثم)؛ لأنه تعالى أمهل البحر الذي فلقه موسى مهلة لا يبقى أحد من أتباع موسى إلّا وخرج من البحر ولا يبقى أحد من أتباع فرعون إلّا وقد صار في وسط البحر ثم أمر الله تعالى البحر أن يغرق فرعون وقومه[4].

ثم إنّه ليس في الأمر بأس أن يتقارب معنى الحرف من المعنى الذي اشتق منه في الكلام فـ(ثم) وإن كانت حرف عطف إلّا أن لفظها كلفظ (الثم) والذي يعني ضم شيء إلى شيء والمعنى الذي في (ثم) قريب من هذا حيث إنّ معناها ضم شيء إلى شيء بينهما

(١) ينظر: معاني النحو: ٣/ ٢٠٦.
(٢) سورة الكهف: ٣٧.
(٣) ينظر: جواهر الأدب: ٢١٦.
(٤) ينظر: بيان المعاني، عبد القادر العاني: ٢/ ٢٦٩.

مهلة[1]. فإذا كانت (ثم) بهذا المعنى فإنها تكشف لنا دلالة جديدة في الآية محل البحث إذ إنّ السياق القرآني لمّا تحوّل عن العطف بالواو إلى العطف بـ(ثم) ضمّ وجمع عن طريق (ثم) صورة الإغراق لفرعون وقومه إلى صورة النجاة لموسى عليه السلام وقومه في زمن فيه شيء من التراخي في المهلة، وهذه الصورة التي كشفها التحوّل في العطف منحت النص مفارقة جليّة بين النجاة لموسى عليه السلام وقومه وبين الإغراق. فهي مفارقة في كل شيء في خاتمة الأمور وفي دلالة السياق القرآني الذي سبك النص سبكًا لا يعزب عنه شيء ولكنه بحاجة إلى تأمّل وتدبّر.

والمفارقة تحصل هنا من طريق تبادل النعم والنقم فالنعمة الإلهية التي منحها الله تعالى لموسى وقومه هي في الوقت نفسه نقمة من الله تعالى على فرعون وقومه، والنقمة التي سلطها الله تعالى على فرعون وقومه هي في الوقت نفسه نعمة لموسى وقومه.

ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾[2].

ونلحظ هنا أنّه قد عدل في العطف عن الواو في قوله تعالى ﴿وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾ إلى (ثم) في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾ فهو لم يقل: وضاقت عليكم الأرض ووليتم مدبرين، وإنّما قال: وضاقت عليكم الأرض ثم وليتم مدبرين، لكي يصوّر بالترتيب مع المهلة الحالة النفسية التي عاشها المسلمون وانتابتهم أثر هزيمتهم في معركة حنين فقد صوّر السياق لنا بـ(ثم) مفارقة في الدلالة سببها التحوّل، ففي صدر الآية يقول تعالى: ﴿أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ﴾ ثم قال: ﴿ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾ فهذه مفارقة واضحة في المقدمة والنتيجة فكانت (ثم وليتم) معلولاً لعلة الكبر،

(١) ينظر: نتائج الفكر في النحو: أبو القاسم السهيلي: ٩٦.
٦٣- ينظر: زهرة التفاسير، أبو زهره: ٦/ ٣٠٨٦.
(٢) سورة التوبة: ٢٥.

واستعماله لـ ثم بدل الواو إشارة منه إلى شدة وطأة الزمن واستطالته في ذاك الموقف العصيب الذي أصابتهم فيه الدهشة والحيرة والاضطراب.

وقد يأتي السياق القرآني بنص يعكس فيه ما تقدم فبدلًا من أن يتحوّل في العطف عن الواو إلى (ثمّ) كما في الأمثلة المتقدمة، نلحظه يعكس الحالة هنا في التحوّل أيضًا لمفارقة معينة في التحوّل ولإبراز دلالات جديدة تنعش النص وتجعل فيه روح الحركة والتوسع بدل الجمود.

يقول تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ﴾[1].

فابتدأ بـ(ثم)، وأعقبها بـ(ثمّ) كذلك، ثمّ تحوّل عنها إلى الواو لاقتضاء دلالة السياق القرآني ذلك بطبيعة الحال فالله خلق الإنسان من ضعف وهو مرحلة الطفولة ثم تستمر لوقت طويل حتى تأتي مرحلة القوة والفتوة والشباب لذا عطف بـ(ثمّ) التي هي للترتيب مع مهلة ثم هذه المرحلة طويلة أيضًا حتى تنتهي بمرحلة الضعف وبمجرد أن يمرّ الإنسان بمرحلة الضعف الثانية تكون الشيخوخة والشيبة قد هجمت عليه فلذا قال تعالى: ﴿ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ﴾ وكأنّها مرحلة واحدة هذا ما أفادته دلالة التحوّل من مفارقة في المراحل والأزمنة والدلالات.

(١) سورة الروم: ٥٤.

نتائج البحث

توصل الباحث إلى ما يأتي من النتائج:

قابلية المفردة في اللغة العربية بكل أقسامها (اسم، فعل، حرف) على إمكانية تولّد دلالات ومعان جديدة، وهذا الأمر يحصل في المفردة العربية سواءً كانت المفردة على صيغة واحدة أم كانت متنوعة الصيغ ففي كلا الحالتين لا تنفك المفردة من إيجاد معان مختلفة ومتعددة وهذه الإمكانية لا يمكن إيجادها في بقية لغات العالم إلّا في اللغة العربية.

التحوّل من الأساليب التي يمكن استعمالها في إيجاد دلالات ومعان متكثرة ومتنوعة؛ إذ به يتم الكشف عن قدرة المفردة في اللغة العربية وقابليتها على تولّد معان جدد، ويحصل التحوّل أما في المفردة الواحدة مثل (مدحوضة) إلى (داحضة)، أو بين مفردتين كتحوّل السياق من الفعل المضارع إلى الماضي أو أكثر حسبما يأتي به السياق أو يحتاجه.

ذكرنا آنفًا أنّ المفردة في اللغة العربية لها إمكانية تولّد دلالات متكثرة وهذا يحصل أما في بقاء المفردة على صيغة واحدة كلفظة (عين)، أو انتقالها من صيغة إلى أخرى كلفظة (مستور) و(ساتر) ففي الحالة الأولى لا يظهر أي أثر للتحوّل؛ لأنّ هو من صيغة إلى أخرى ولفظة (عين) فيها معان كثيرة إلّا إنّها لم تتحوّل من صيغة إلى أخرى، أما في الحالة الثانية يظهر أثر التحوّل في إيجاد الدلالات، إذ بالتحوّل تنتقل المفردة من صيغة إلى أخرى، وإذا انتقلت المفردة تولّدت الدلالات.

للسياق أثر بالغ الأهمية في تولّد الدلالات ولكن شريطة أن يتفاعل مع التحويل. فلا السياق وحده قادر على تكثير الدلالات من دون التحوّل، ولا التحوّل وحده قادر على تحديد تلك الدلالات أو تشخيصها من دون السياق.

المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم

٢. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (ت١٣٩٣هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.

٣. إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش (ت١٤٠٣هـ)، الطبعة الرابعة، دار اليمامة، دمشق، بيروت، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ١٤١٥هـ.

٤. أوضح التفاسير، محمد محمد عبد اللطيف بن الخطيب (ت١٤٠٢هـ)، المطبعة المصرية ومكتبتها، الطبعة السادسة، رمضان ١٣٨٣هـ/ فبراير ١٩٦٤م.

٥. أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، أبو محمد، عبد الله يوسف بن أحمد بن عبد الله بن يوسف، جمال الدين بن هشام (ت٧٦١هـ)، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان.

٦. البحر المحيط في التفسير، أبو حيان، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت٧٤٥هـ)، تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٩٣م.

٧. البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي (ت١٢٢٤هـ)، تحقيق أحمد عبد الله القرشي رسلان، الناشر الدكتور حسن عباس زكي، القاهرة، مصر، ١٤١٩هـ.

٨. البرهان في علوم القرآن، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت٧٩٤هـ)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الأولى، ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٧م.

٩. بيان المعاني، عبد القادر بن ملّا حويش السيد محمود آل غازي العاني (ت١٣٩٨هـ)، مطبعة الترقي، دمشق، الطبعة الأولى، ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٥م.

١٠. تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت٣٩٣هـ) تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

١١. تأويلات أهل السنة، محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (ت٣٣٣هـ)، تحقيق د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

١٢. التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤هـ.

١٣. التفسير البياني لما في سورة النحل من دقائق المعاني، سامي وديع عبد الفتاح شحادة القدومي، دار الوضاح، الأردن، عمان.

١٤. تفسير جزء عم للشيخ مساعد الطيار، د. مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار، الطبعة الثامنة، دار ابن الجوزي، ١٤٣٠هـ.

١٥. تفسير مقاتل بن سليمان، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخى (ت١٥٠هـ)، تحقيق عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ.

١٦. الكتاب: تكملة المعاجم العربية، رينهارت بيتر آن دُوزِي (ت١٣٠٠هـ)، نقله إلى العربية وعلق عليه محمَّد سَليم النعَيم وجمال الخياط، وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، الطبعة الأولى، من ١٩٧٩-٢٠٠٠م.

١٧. توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، أبو محمد، بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن علي المرادي المصري المالكي (ت٧٤٩هـ)، تحقيق عبد الرحمن علي سليمان، الطبعة الأولى، دار الفكر، القاهرة، مصر، ٢٠٠٨م.

١٨. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي الطبري (ت٣١٠هـ)، تحقيق أحمد محمد شاكر، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ٢٠٠٠م.

١٩. جامع الدروس العربية، مصطفى بن محمد الغلاييني (ت١٣٦٤هـ)، الطبعة الثامنة والعشرون، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ١٩٩٣م.

٢٠. جامع العلوم في اصطلاحات الفنون = دستور العلماء، القاضي عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد نكري من أعلام القرن الثاني عشر الهجري، عرب عباراته الفارسية، حسن هاني فحص، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

٢١. الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت٦٧١هـ)، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م.

٢٢. جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب، أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي (ت١٣٦٢هـ)، أشرفت على تحقيقه وتصحيحه لجنة من الجامعيين، مؤسسة المعارف، بيروت، لبنان.

٢٣. حَاشِيةُ الشِّهَابِ عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوِي، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري الحنفي (ت١٠٦٩هـ)، دار صادر، بيروت، لبنان.

٢٤. زهرة التفاسير، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (ت١٣٩٤هـ)، دار الفكر العربي.

٢٥. روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الآلوسي (ت١٢٧٠هـ)، تحقيق علي عبد الباري عطية، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ.

٢٦. شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ابن عقيل، عبد الله بن عبد الرحمن العقيلي الهمداني المصري (ت٧٦٩هـ)، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الطلائع، القاهرة، مصر، ٢٠٠٩م.

٢٧. شرح المفصل، موفق الدين يعيش بن علي بن يعيش النحوي (ت٦٤٣هـ)، تحقيق أ.د.إبراهيم محمد عبد الله، الطبعة الأولى، دار سعد الدين، القاهرة، مصر، ٢٠١٣م.

٢٨. غاية الأماني في تفسير الكلام الرباني، أحمد بن إسماعيل بن عثمان الكوراني، شهاب الدين الشافعيّ ثم الحنفي (ت٨٩٣هـ)، دراسة وتحقيق محمد مصطفي كوكصو، جامعة صاقريا كلية العلوم الاجتماعية، تركيا، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.

٢٩. كتاب الأفعال، سعيد بن محمد المعافري القرطبي ثم السرقسطي، أبو عثمان، ويعرف بابن الحداد (ت٤٠٠ هـ)، تحقيق حسين محمد محمد شرف، مراجعة محمد مهدي علام، مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر، القاهرة، مصر، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م.

٣٠. الكتاب، سيبويه أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي الملقب بسيبويه (ت١٨٠هـ)، تحقيق عبد السلام هارون، الطبعة الثالثة، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ١٩٨٨م.

٣١. كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمد بن علي بن القاضي محمد بن حامد بن محمد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي (ت١١٥٨هـ)، تحقيق د.علي دحروج، الطبعة الأولى، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٩٦م.

٣٢. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم، جار الله محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري، (ت٥٣٨هـ)، تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود وآخرين، الطبعة الأولى، مكتبة العبيكان، الرياض، ١٩٩٨م.

٣٣. الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (ت٤٢٧هـ)، تحقيق أبو محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق الأستاذ نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م.

٣٤. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني، الجزري، أبو الفتح، ضياء الدين، المعروف بابن الأثير الكاتب (ت٦٣٧هـ)، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.

٣٥. معالم التنزيل في تفسير القرآن، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (ت٥١٠هـ)، تحقيق عبد الرزاق المهدي، الطبعة الأولى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ١٤٢٠هـ.

٣٦. معاني القرآن، أبو الحسن المجاشعي بالولاء، البلخي ثم البصري، المعروف بالأخفش الأوسط (ت٢١٥هـ)،

تحقيق د. هدى محمود قراعة، الطبعة الأولى، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ١٩٩٠م.
٣٧. معاني القرآن وإعرابه، أبو إسحاق، إبراهيم بن السري بن سهل الزجاج (ت٣١١هـ)، تحقيق عبد الجليل عبده شلبي، الطبعة الأولى، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ١٩٨٨م.
٣٨. معاني النحو، د. فاضل صالح السامرائي، الطبعة الخامسة، دار الفكر، عمّان، ٢٠١١م.
٣٩. معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، د. سعيد علوش، دار الكتاب اللبناني، بيروت ١٩٨٥م.
٤٠. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (إبراهيم مصطفى/ أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)، دار الدعوة، القاهرة، مصر.
٤١. المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم، الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت٥٠٢هـ)، تحقيق صفوان عدنان الداودي، الطبعة الأولى، دار القلم، دمشق، ودار الشامية، بيروت، ١٤١٢هـ.
٤٢. مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين (ت٣٩٥هـ)، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٩٧٩م.
٤٣. من بلاغة القرآن، أحمد أحمد عبد الله البيلي البدوي (ت١٣٨٤هـ)، نهضه مصر، القاهرة، ٢٠٠٥م.
٤٤. منّة المنان في الدفاع عن القرآن، السيد محمد صادق الصدر، (ت١٤١٩هـ)، دار الأضواء للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م.
٤٥. الموسوعة القرآنية، خصائص السور، جعفر شمس الدين، تحقيق عبد العزيز بن عثمان، دار التقريب بين المذاهب.
٤٦. نتائج الفكر في النحو، أبو القاسم، عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي (ت٥٨١هـ)، تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوّض، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت،١٩٩٢م.
٤٧. نحو مير = مبادئ قواعد اللغة العربية، علي بن محمد بن علي الشريف الحسيني الجرجاني المعروف بسيد مير شريف (ت٨١٦هـ)، وضع الحواشي عبد القادر أحمد عبد القادر، مكتبة الفيصل، شاهي جامع مسجد ماركيت، اندرقلعة، شيتاغونغ، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م.
٤٨. النحو الوافي، عباس حسن، الطبعة الرابعة، دار المعارف، القاهرة، مصر، ١٩٧٣م.